إفادة أهل الإقبال الصادقين

بفوائد من

إيضاح أســـــرار علوم المقربين

إعداد وتلخيص :

راجي مواهب الملك القدوس

محمد بن عبدالله بن علي العيدروس

إفادة أهل الإقبال الصادقين

بفوائد من

إيضاح أسرار علوم المقربين

عنوان الكتاب :

إفادة أهل الإقبال الصادقين

بفوائد من

إيضاح أسرار علوم المقربين.

إعداد : محمد بن عبدالله بن علي العيدروس.

قياس القطع : ١٤،٨ x ٢١.

عدد الصفحات : ٦٠

تنفيذ : مكتب إتقان للمطبوعات.

٨ ٥٩ ١٨ ١٥ ٧٧

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الملخّص :

الحمد لله دائم الفضل على البريّة باسط اليدين بالعطيّة والصلاة والسلام على إمام أهل العبودية راقي أعلى المراتب العلّية سيدنا محمد وآله البضعة الطاهرة النقيّة وأصحابه العصابة التقيّة ومن تبعهم بإحسان وعلى كل صاحب همّة أبيّة قوية .

وبعد: فقد وجّهني من لا قدرة ولا عذر لي في ترك أمره سيدي وشيخي الحبيب العلاّمة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ ابن الفخر الشيخ أبي بكر بن سالم إلى تلخيص كتاب إيضاح أسرار علوم المقربين وتقديم خلاصة ذلك للمشاركين في الدورة الرابعة عشرة بدار المصطفى بتريم للدراسات الإسلامية- من عام ١٤٢٩ هـ ، فسارعت إلى امتثال إشارته وإن كنت أعلم وأتيقّن قصور نفسي وضعف حالي ما يمنعني من الخوض في غمار هذا البحر الملي بدقائق العلوم وجواهر الفهوم التي أوردها سيدنا المؤلف في هذا الكتاب، ولكن امتثال الأمر منجاة للرقيق واستمطاراً لمعرفة مسالك الطريق وتطلباً للتحقيق ، وقد سمّى هذه الخلاصة شيخنا المذكور بـ (إفادة أهل الإقبال الصادقين بفوائد من إيضاح أسرار علوم المقربين) .

ترجمة مؤلِّف الكتاب : هو الإمام جمال الدين محمد بن عبدالله بن شيخ العيدروس، ولد في مدينة تريم **بحضرموت** اليمن عام٩٧٠هـ ، حفظ القرآن الكريم في صباه ، وتلقّى العلوم حتى صار قطب الشريعة وقلب الحقيقة، مواظباً على سنّة سيِّد المرسلين وطريقة سلفه الصالحين، وتوفي في (بندر سورت) بالهند عام ١٠٣١هـ .

عنوان الكتاب : (إيضاح أسرار علوم المقرَّبين) وصفه الإمام عبدالله بن علوي الحداد (بالتصوف المنخول) .

وهذا الكتاب : مؤسَّسٌ من أسرار الحقِّ تعالى على ما قضت به العقول السليمة والآراء الصائبة .

ثمرة العمل بما في هذا الكتاب : أن يجد العامل في نفسه زيادة رغبة وانشراحاً ، وتمكّن أن ينظر بالعقل السليم ، فسلم من الهوى وبانت له حقائق الأمور .

داء الهوى :

الهوى غذاء النفس وهي متشبثة به فيميل بها إلى الباطل ويعسر خلاصها منه .

أقسام الهوى :

١. ما يقهر النفس (من دواعي الشهوات) .
٢. ما يعتري الإنسان عند الكبر والبذخ .
٣. ما يقهر النفس عند الغضب (وهو أردأ أنواع الهوى لأنه يمنع من التمييز) .

علاج الهوى :

١. مجاهدة النفس وخصوصاً عند ورود الغضب .
٢. ذكر الله وإيثاره على نفسه .

فمن فعل ذلك فقد قام مقام العبودية حقيقة وهذا المقام هو مطلوب الأبدال من الرجال .

تعريف العبد على الحقيقة : هو من لا تبقى له إرادة مع ربه ، فبالعقول تتبين مراتب الرجال ، وبصحّة النظر تتفاوت طبقات العمّال .

السالمون من الهوى : هم العارفون الذين يعتنون بأسرار الطاعات ومحاسن العبادات فهم ذوو العقول التامة والصدور السليمة .

فصل :- بين يدي الكتاب

هذا الكتاب مأخوذ بالحقيقة من محاسن معاني السنَّة ودقائق حِكَم الشريعة فهو علم العارفين وفقه السالكين أرباب المجاهدات والأعمال .

شأن العارفين (الاستنان بالصدر الأول ، عقائدهم عقائد السلف الماضين ، لا انحراف لهم عن سننهم) .

مقدِّمة الكتاب

المميِّز الفَطِن: من يحكم أعماله إحكاماً لتستقيم أموره وتنصلح شئونه.

أولويات أعماله على الترتيب :

١. تزكية النفس .
٢. تهذيب الأخلاق .
٣. الإكثار من نوافل العبادات بعد ذلك .

قواعد السلوك :

١. مراعاة السرِّ بالفكر في العاقبة .
٢. النيَّة الصالحة .
٣. المحافظة على الوقت .
٤. قصد الأشياء التي تصلح القلب (كالفكر والذكر وسائر الأحوال التي تؤثِّر فيه كالزي والمطعم والكلام) .

أساس الأعمال وأعلى أحوال القلوب (دوام اتصالها بالرب تعالى) .

قاعدة:أنفع الأشياء على القلب عدم طلب المنزلة في قلوب الناس

طريق الخُلّص من أصحاب الحقِّ :

١. التقلّل من الدنيا وترك فضولها .
٢. الحذر من المنازعة في شيء من صفات الربوبية كالكبر والتجبر
٣. ملازمة الوقار والسكينة وصون المرؤة عما يشينها كالرقص والتصفيق والتساكر والصياح .

فصل :- في التنبيه على آداب الخطاب

١. تلمّح المقاصد الصالحة من الكلام .
٢. إعمال الرأي قبل الكلام (جعل اللسان وراء القلب ووزنه بميزان العقل) .
٣. الرفق في الكلام (تجنّب ما يثير النفوس) .
٤. عدم الإكثار منه (حسبه من الكلام ما تمس إليه الحاجة).
٥. تلمّح معاني الكلام قال سيدنا علي كرّم الله وجهه ورضي عنه (مغرس الكلام القلب ، ومستودعه الفكر، ومقويّه العقل، ومبديه اللسان، وجسمه الحروف ، وروحه المعنى ، وحليته الإعراب ونظامه الصواب) .
٦. ترك الخلاف والمنازعة ومحاسنة المخاطَب .
٧. تجنّب الفحش (لا منه ولا حكاية عن غيره) .
٨. الإمساك عن الكلام حالتي الغيظ والغضب .

فصل :- آداب الاستماع

١. عدم قطع كلام الغير .
٢. عدم المجابهة في الرد ، واللطف في بيان الخطاء الذي يجب ردّه .

٣. التغافل عن سقطات المتكلمين ، فـإن خولفـتَ فاثبـت ولا تجزع وإن لقيت ما تكره فاحتمل ولا تجاوب .
٤. الانصات للمستضعفين .
٥. تسكين انزعاج المرعوبين .
٦. التثبت عند كلام الملهـوفين ومعـاملتهم بـالحلم وجميـل الملاطفة .
٧. عدم المغالبة والقطع للكلام المتكرِّر .
٨. اعتبار المستمع شريك القائل .

فصل :- في ملاحظة الأعمال وتحسينها

العمل الحسن هو الاجتهاد في القرب إلى المولى بكل ممكن ،وتستدفع بذلك الخطوب النازلة بالخليقة .

ثمرات إهمال الأعمال : كثرة الغفلة التي يـستظهر بـسببها العـصاة تظاهراً وتجاهراً فتدل على إعراض الرب تعالى .

أسباب إعراض الله تعالى عن الخليقة :

١. الذنوب وانتهاك المحارم .
٢. إهمال الأوامر .
٣. غشّ القلوب .
٤. شوب الرياء لاسيما من أصحاب العلم والزهادة .

عقوبات إعراض الله عن الخليقة :

١. **المعجلّة :** (يظلم العالَم ، ويذهب أنسه ، وينطفئ نوره ، وتنكسر القلوب ، وتسوء أحوال العباد ، وتعمُّ الهموم ، وتقلُّ الخيرات ، وتذهب الأمانات ، وتفسد المودات ، وترتفع الأسعار ، وتتسلّط الأشرار ، وتقلّ فوائد أرباب المعاش ، وتتحيّر العقلاء لما يرون من الأمور المستغربة ، وتتوحش الأرض وتتنكّر لأهلها) .

٢. **المؤجلّة :** ما توعد به من عذاب الآخرة .

دلالات رضاء الله عن العباد : (نظر إليهم نظر رحمة ، فيستنسر العالَم ، ويكتسي بهجة ، وترتاح النفوس ، وتحيا القلوب ، ويظهر السرور ، وتصلح أحوال العباد ، ويدرّ البركات ، وتنمى الخيرات) .

حال أصحاب الحق عند النوازل والبليّات :

١. التنبّه من الرقدة وبذل الجهد في الخدمة .

٢. الصبر على مرِّ القضاء .

معاملة الحقِّ لأصحابه عند هذه النوازل :

١. يرفق بهم .

٢. يَعرِفهم في الشدة كما تعرّفوا عليه في الرخاء .

فصل : - النيَّة أساس الأعمال

لحديث (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرى ما نوى) فالنيات أصول، لكون أعمال القلوب هي الأصول وأعمال الجوارح هي الفروع .

فإحكام المقاصد والأعمال بثلاثة أمور :

١. إعمال الرأي فيها أولاً .

٢. إعطائها من الهمَّة ما تستحقه ثانياً .

٣. تفويض الأمر إلى الله واللجاء إليه في الإتمام والنجاح ثالثاً .

ينتج عن ذلك :

١. زكاء الأعمال .

٢. حصول المطلوب .

أسرار النيات :

١. تتعدّى إلى أشياء لا تتناهى ولا تحيط بها المقاصد لحديث ((نيّة المؤمن خير من عمله)) .

٢. بركتها تصل إلى أشياء لا تخطر ببال .

٣. إضمار نية الشر تتولّد به شرور يعمّ موقعها قد لا تكون من قصد الإنسان .

فصل:- الأجر بمجرد النيَّة

بأن تجعل ميلك إلى الخيرات عزماً صادقاً لو قدرت عليها .

التمني الكاذب: (الميل إلى الخير من غير اهتمام ولا إعمال فكر في الوصول) .

فصل :- الإخلاص سيّدُ الأعمال وروحها

الإخلاص: عزيز جداً لأنّ أكثر أعمال البرِّ لا تخلو عن شيء من الهوى وإن قلَّ .

مثاله : الأعمال التي يتعاطاها الناس محاسنة ومجاملة واتقاء شرور، هي خيرات ومن سبيل المعروف ولكنها مشوبة .

ومثال الإخلاص العزيز: الذي يعطي لمن لا يرجى مدحه ولا يخشى ذمّه ولا لمحبة ولا لصداقة ولا لأي سبب ترتاح إليه النفوس .

فصل :- نتائج الإخلاص والصدق

١. ذوق حلاوة المعاملة وانشراح الصدر .

٢. نوع استقامة ترتاح بها .

٣. العلم الذي تظهر به حقائق الأشياء .

٤. معرفة سر الخليقة وما جبلوا عليه .

يشترط في الوصول إلى ذلك :

١. الصبر على الضيم والكظم على المضض .
٢. توطين النفس على جفاء الناس لأنه يبقى بينهم غريباً وحيداً .
٣. شكر الله تعالى على صحة الطريق .
٤. لا يكشف لأحد ستراً أطلع عليه .

فصل :- الترتيب بين الأعمال (فقه الأولويات)

أساسه الحذر من الهوى الذي يوقع في الشغف ببعض الأعمال دون سائرها.

أعمال السالك على الأولويات :

١. الاهتمام بطلب الحلال أو ما يقاربه إن تعذَّر.
٢. الاهتمام بما افترض الله تعالى من الواجبات فيؤديها على أحسن الوجوه.
٣. ينصب التقوى أمامه فيدور مع الأوامر والنواهي حيثما دارت.
٤. الاهتمام بنوافل الأعمال ورغائب الطاعات.

أفضل الطاعات وأقربها لمرضاة الرب تعالى:-

ما تعدَّى خيرها إلى الغير كالإحسان إلى الضعفاء، ونصرة المظلومين وجبر المنكسرين. ثم ما كان فضُلها لازماً لصاحبها من نوافل العبادات وخصوصاً الصلاة وقيام الليل.

أسباب تقديم غير الأولى في الترتيب:

١. قلّة العلم .

٢. تعلّق الهوى ببعض الأعمال .

فصل:ـ تقويم من انتصب لهداية العباد إلى مولاهم

أسباب الخسران والحرمان :

١. الأمر قولاً والمخالفة فعلاً .

٢. الهمَّة في تحسين العبارات وترصيف الكلام فقط .

٣. فصل العلم عن العمل .

٤. المداهنة .

أسباب النجاح والفلاح :

١. أن يسري العلم إلى الباطن ويصير له تعلّق بالبصيرة (دعاءً وتضرعاً وخشية من الله) .

٢. التخلّق بأخلاق السلف الماضيين .

أعمال من رام التأديب والتعليم والتثقيف :ـ

١. الرفق بالخلق .

٢. النصح لهم .

٣. المداراة ، وعدم الطمع في تغيير الجبلاّت فنقل الطباع ممتنع إلا ما اقتضاه التأديب والتعليم .

٤. مقاربة الأفهام (لتنقاد النفوس وتقبل القلوب) .

فصل :- المفاضلة بين الفعل والترك

فعل الطاعات واجتناب المعاصي أهمّ عند العارفين من الإكثار من الطاعات مع التسامح في ارتكاب شيء من المآثم. لأنّ أفعال الخير يعملها البرُّ والفاجرُ ولا يجتنب الآثام إلا صديّقٌ مقرّب، إذ الأعمال تحتاج إلى آداب لطيفة وينبغي أن يمدَّها من البواطن أصول خفيّة مهمّة، فصاحب القلب العارف بسرِّ الأعمال إذا دخل فيها تلوح عليه آثار القبول وتشرق عليه أنوار الوصول، وصاحب الباطن المظلم إذا دخل في الإعمال لم تزده إلا عمى وضلالاً .

أسباب تنوير القلب :

١. محاسبة النفس .

٢. عدم مسامحة النفس في شيءٍ من الشُبَهِ والمحرمّات بل يجتهد في تركها ما أمكن .

فصل:ـ أقسام القلوب

١. جماعة تنافي الخير بجبلاّتها لغلظها وقسوتها .

أوصافهم:ـ قسوة القلب، ضعف تمييزهم، خراب بواطنهم، يغلب عليهم ثقل الأرواح والأخلاق المكروهة والمجادلة في سلوكهم غالباً.

٢. قوم غلب عليهم السكون ولين الكلام والدخول في شيء من العبادات والكلام في العلوم والسلوك إلا أن بواطنهم رديئة مملؤة بالكبر وخبث الباطن ، فيخاف عليهم الانحطاط وسوء الخاتمة .

٣. قوم بواطنهم سليمة وأخلاقهم حسنة إلا أنّ ظواهرهم تدنست بشيء من أمور الدنيا ، وأعمالهم قاصرة (فيرجى لهم الرجوع والانصلاح) .

٤. قوم جبلهم الله على قربهم من الخير وبُعدهم عن الشرِّ وبينهم وبين أعمال البر مناسبة أكيدة .

أوصافهم:ـ قلوبهم ليِّنة منورّة رحيمة تحب الله وتحب خلقه لأجله، تلوح عليهم آثار المعاملة بيسير العمل بميل إلى الدعابة لخفّة الروح ولطف السجيّة، ترى أحدهم بسّاماً، ذليلاً منكسراً متواضعاً .

٥. أعلى الطوائف: من اجتمع لهم سلامة البواطن وصلاح الظواهر.

فصل :- الاعتدال في أعمال الخير

ليس للقلب شيء من الأمور الصحيحة إلا وللنفس في مقابلته ما يشابهه ويلتبس به. (كما أنّ للقلب الرجاء فللنفس الطمع) .

التميز بين ما يصدر عن القلوب وما يصدر عن النفوس :

١. يكون بالاستدلال بالأثر على المؤثّر (فمن يبكي مثلاً من جبلَّة قاسية لا تناسبه فذلك من النفس لا من القلب).
٢. من أرباب القلوب والعقول الحنين إلى فعل الخير والأسف على ما فات منه ، وخلافه من أصحاب النفوس .
٣. فعل العبادات وتحصيل العلوم والأخلاق بسكون وطمأنينة لا تصدر إلا من أصحاب القلوب ، وخلافها من أصحاب النفوس .

علامات أرباب العقول :

١. مشغولون بتهذيب أنفسهم.
٢. يحكمون أعمالهم بالنيات الصالحة.
٣. يغتنمون أوقاتهم اغتناما.

فصل:ـ طريق المخلصين الصادقين

أخلاق العقلاء أصحاب القلوب :

إيثار مرضاة الله تعالى سواء كان في ذلك إعزاز لجانبهم أو كسرهم وهوانهم في أعين الناس لأنهم يرون الأهمّ مراعاة جانب المولى وذلك راجع إلى محافظتهم على مقام العبوديّة وتباعدهم عمّا هو خاص بعزّة الربوبية فلا يأنفون من وقوفهم على بشريتهم في أكلهم وشربهم ولباسهم

وجميع أنحائهم، فلا يأبى أحدهم إن احتاج إلى أن يسأل خوفاً من هوان نفسه وخفضها فلا يكون سؤاله لشهوة ولا ردّه لشهرة .

وليس من شيمهم التنطّع والصلف والترفّع بوصف الزهادة والعلم خوفاً من سقوط قدرهم عند العوام لكون ذلك من تلبيس الشيطان إيثاراً لحسن اعتقاد العوام .

فصل:ـ الصدق

للصدق معنيان أصل وفرع فالأصل صدق القلب لأنه يدلّ على عمارة الباطن ونزاهة النفس، وصدق اللسان وهو الفرع وصدق الباطن لا يميل القلب عن نهج الصحة بل تكون العدالة شعار لباطنه، **ويلزم لذلك :**

١. أنه يتعذّر على اللسان التفوّه بالزور والكذب .

٢. الصحو والتفطن للخلل .

وعكس الصدق الكذب وأقبحه كذب القلب لأنه يدلّ على خراب الباطن وفساد حال النفس دناءة ولؤماً ، ولا يأتي ذلك إلا ممن هانت عليه نفسه .

فصل:ـ صحّة القصد

تحقيق الإخلاص وهو أثبت دعائم الإيمان لكونه أصل عظيم وعليه المعوّل عند العارفين على الدوام وهو على قدر إيمان العبد ومعرفته بالله .

يتم تحقيق الإخلاص :

١. بقوة البصيرة ، لكون إخلاص العبد من قوة يقينه .

٢. صحة الفطرة بتوجه القلب إلى الله تعالى عند المعاملات .

وأما الرياء يتولّد من فساد القلب وضعف اليقين وهو هدم أساس الأعمال وتخريب القلوب، وهو ذنب مبعد للعبد عن ربه تعالى ويحصل ذلك بسبب ضعف البصيرة الذي اضطرهم أن يتقووا بنظر المخلوقين عند المعاملات. والأصل في ذلك كلِّه قصر النظر إلى زخارف الدنيا ومحاسنها .

ثمرات تمام عقل الإنسان : (استقامة الأحوال ، فيميل إذ ذاك إلى العدل والصحة ويطلب الفضيلة والكمال، فتبقى بينه وبين الدنيا غرابة ومنافاة فيصير وحيداً غريباً فيطلب الخلاص منها) .

من قلّ علمه :

١. ضعف إيمانه .

٢. فسد قلبه .

٣. اختلط سره .

٤. لا يكاد يخلص في عمل لكثافة حجابه وعمى قلبه ، ودأبه التزين والرياء والسمعة .

من آثار انتشار الرياء :

١. فساد أحوال العوام .

٢. اختلاط الأمور .

٣. ميل الناس مع كل ناعق كثرت جموعه .

٤. تقاعست نفوس العارفين غضباً لله وأنفة ونفوراً عن الخلق لتكاثر المبطلين .

فصل :- من أصناف القُرب

من علوم ذوي الخصوص اصطناع المعروف جبراً للقلوب المنكسرة رحمة بهم واستمطاراً لرحمة الحق تعالى حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).

من فوائد هذا الأمر:-

- أنّ السخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد عن النار.
- مقارضة الحق تعالى
- نجح المطالب كطلب الشفاء وغيره.

فصل :- في محاسن المعاملات

وهي دلالة على حياة القلب وعلامته إشراق نور العقل فيه، ويظهر ذلك في القلب الحيِّ أنه محبّباً إلى الناس ترتاح النفوس برؤيته بسبب تواضعه للمستضعفين كعيادة المريض المسكين وتشييع جنازة الغريب الفقير وزيارة ذوي الخمول ويدل ذلك على خلوِّ النفس من الكبر .

فصل : - القلب الميِّت وعلاماته

من مات قلبه فصاحبه مضطرب الأحوال سيء البال عليه وحشة ومقت، وقد يكون ذلك من أصل الخلقة أو بما يطرأ عليه من الأحوال السيئة المميتة للقلب .

علامة صاحب القلب الميّت خلقة :

١. قاسي لا يلين .
٢. لا يألف .
٣. لا يرحم .
٤. ليس له استئناس بباطنه فتراه يكره الوحدة ويميل إلى الجموع .
٥. يحبّ القيل والقال .
٦. الدخول في الفضول ، ويكاد صاحبه لا ينتفع بموعظة ولا إرشاد .

علامة صاحب القلب الذي طرأ عليه الموت :ـ

١. يكثر المعاصي .
٢. يقلل من عمل الخيرات .

فصل :- القلب الحي وعلاماته

القلب الحي : ـ هو سر العالم ، وينبوع العجائب ، وخزانة الحِكم والأسرار الإلهية، علامة صاحبه عكس ما ذكر في صاحب القلب الميِّت. **وزيادة على ذلك :**

١. أنه بعيد عن الدعاوي وعن التفوّه بتزكية نفسه .
٢. يحتمل الأذى .
٣. الخشية والبكاء .
٤. المحافظة على مقام العبودية ذلاًّ وانكساراً .

ثم ذكر المؤلف – رحمه الله تعالى – (بعض الأفعال التي تشتبه على الناس وهي الخوارق التي تظهر على أيدي أناس لم يعرفوا بالصلاح، وأهل هذه الخوارق إما أن ترجع إلى من يوالي الشياطين كالكهنة أو مستندة إلى أصحاب السيميا الذي أشبه بالسحر يجوّعون أنفسهم ويهجرون المباحات لا على وفق الشرع كما يحصل لبعض الرهبان ومشركي الهند فهذا كلّه من نوع الباطل والاستدراج، وقد تحصل على أيدي الأخيار والصالحين الذين يلازمون الواجبات والسنن ويكثرون من الأعمال الصالحة فهم محل للمواهب الإلهيّة وتميّز ذلك بالاعتبار بحال الإنسان من سداد أفعاله وحسن تدينه وحميد طرائقه)

فصل :- في حكم هوى النفس وسرّه

الهوى هو قوة النفس فإذا كلّت أو ملّت غذّاها الهوى فاحتملت المشاق ، ولوجود الهوى سرٌّ عجيب فلو عدم لتعطلّت مصالح العباد، فهو الدافع لتحمل المتاعب واقتحام الأخطار وركوب البحار لما يؤملونه من جمع الأموال تفاخراً ومباهاة، ولو قنع أهل هذا الصنف بأخذ قدر الضرورة فقط لتعطلّت مصالح جلب أو إيصال الأمتعة والحاجات إلى الأقاليم البعيدة، فترى الأشياء إذا خلت عن الهوى فاترة مزهوداً فيها، فأهل الهوى متى عدموه تبرموا وضاقوا بالأشياء ذرعاً واعترتهم كآبة.

والعارفون خلوا عن ذلك وتقوّت أنفسهم على احتمال المجاهدات والمشاق بما عندهم من حسن اليقين الذي يقابل الهوى لأهل ضعف الغرائز .

فصل:ـ هوى القلوب والديانات

تحذّر منه أهل الفهم الواعين لأنّه :

١. منبع الضلالات .
٢. منشاء الشرور والبليات .
٣. أصل فساد الأعمال .
٤. منه تتولّد الأحقاد والخصومات .

وقالوا أنه المعني بالشهوة الخفية في حديث (أخوف ما أخاف على أمتي الشهوة الخفيّة) هي أعمال البر بالهوى ، والهوى يلازم ضعف العقل ، **فإذا قلّ هوى الإنسان :**

١. كره الشرور .
٢. كره مماراة الخلق والفضول .
٣. كره التطلع إلى معايب الناس .
٤. أحب الأمور الصحيحة .
٥. لزم ما يعنيه .
٦. أخلص الطاعات .
٧. رحم الخلق .

وأهواء أهل التديّن أشدّ قبحاً وأصعب علاجاً لتلبيس الشيطان عليهم أنهم مجدّون في مرضاة الله تعالى ولا تتخيّل إليهم الضلالة في أنفسهم وأنهم على ثقة أن الباطل لا يدخل عليهم، وأما أهل الجهالة فهم يُردعون بأيسر علاج لكونهم يعترفون بنقص أنفسهم .

فالهوى إذا غلب منع التمييز، والنفوس مجبولة على حب المغالبة فإن لم يستطع ذلك بأمر دنيوي حاول إلى الاستطالة بأمر ديني، كما ترى من شغفوا بالخوض في العقائد والمفاضلة بين الأئمة، وربما تجرّأ أحدهم على أقوام أخيار يوافقونهم في الاعتقاد والمذهب ويخالفونهم في أهوائهم، قال الإمام مالك رحمه الله (ليس من السنّة أن تجادل بالسنّة ولكن تخبر بها فإن قبل منك وإلا فأمسك) .

ومن هوى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تتّبع عورات الناس والتبّجح باذاهم والسعي في فضيحتهم ومنه تنشأ الشرور العظيمة ولم يعلم المسكين أن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو الرفق والملاطفة وأنه كطبيب يداوي مجنوناً.

<u>الطريق إلى تقليل الأهوية ودوائها :</u>

١. الالتجاء إلى الله ودوام المسألة .
٢. تسكين النفوس من غليانها .
٣. معاشرة الأخيار والتشبه بهم .

(العاقل سهلاً طلقاً والناس معه في راحة ، والجاهل المتدين يمقت الناس ويمقتونه فدهره في عناء والناس معه في بلاء)

فصل :- أرباب العقول

العقل هو النور الذي يستضاء به في أصول الخيرات ، وعلامة ظهور سلطان العقل على العبد (بروز الصفات الحميدة، والأخلاق المرضية، والطباع الكريمة من صدق القول ونزاهة النفس والوفاء بالعهود والنظر

في العواقب وحب معالي الأمور والحياء والبشاشة وكتمان الأسرار والمداراة والصبر عما تدعو إليه النفس) فهذه الصفات لازمة لصحة العقل ، فإذا قارب الكمال مال حينئذ إلى الزهد وعزفت النفس عن الملاذ الفانية .

فالعقلاء أصبر نفساً، والجهّال أصبر جسماً ، فأكثر ما تكون العقول في أصحاب القلوب الرقيقة الليّنة ففهومهم ثاقبة وآراءهم صائبة، فهم في راحة بما منحوا من الأفهام وعمارة الباطن ، وأصحاب القلوب القاسية تقلّ عقولهم فهم في خبط ونزاع .

طرق العمّال في تحصيل المقامات:-

١. رتبة العقلاء خواص الملك الذين يعاملون الله بالأحسن وينقّون أعمالهم ويبالغون في الترتيب والتقرب إلى الله وتسمو نفوسهم وهممهم إلى النفائس.
٢. رتبة تقصر عن الأولى لا لقلّة أعمالهم ولكن أسرارهم وقلوبهم تقصر عن الوصول إلى حال أولي المرتبة الأولى .
٣. رتبة خيراتهم قاصرة قليلة الجدوى ومعاملاتهم يداخلها خلل ويتعلق بها نوع هوى لضعف عقولهم.

قال الله تعالى {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ } فأهل سلامة الصدور أهل الفهوم والعقول لمناسبة أفعالهم أقوالهم .

فصل : - طبقات الخير من الخلائق

- طبقة هيّنون كرام صدورهم سليمة من خدعهم انخدعوا له .
- وأعلى رتب الخير طبقة لا يخدعون ولا ينخدعون، **سيماهم :**

١. عقولهم راجحة .
٢. هيبتهم لائحة.
٣. تشرق عليهم أنوار الحقِّ وتلوح عليهم مواهبه .
٤. تنقاد النفوس إلى تعظيمهم طوعاً وكرهاً ولهم سلطان عليها.
٥. تخضع لهم إذا قابلتهم .

فصل :- الطائفة الناقصة

طائفة يغلب عليهم الخداع وخبث النفس أخلاقهم شيطانية وأذهانهم سريعة الإدراك من قوة الحسِّ لا تعلق له بالعقل (لأن الإدراك للحسِّ والتمييز للعقل) وأهل الإدراكات الحسيِّة لا يُعدّون من العقلاء ، إذ كثير من الحيوانات أجود حسّاً من الإنسان كما يعرف الطير تغيِّر فصول السنة مثلاً ، **صفاتهم :**

١. يغلب عليهم عمى القلب .
٢. سوء الرأي لخسّة مراتبهم .
٣. تصديهم في الشرور ونفوذهم فيها .
٤. أذيّة الناس واحتقارهم .

فصل :- عزّة الكمال العقلي

ولعزة الكمال قلَّ وندر أن يجتمع لإنسان صحّة العقل مع جودة الحس، فأصحاب العقل أكثر تمييزاً وأقلّ حفظاً فيعزب عن ذهنهم حفظ الأشياء لانشغال فكرتهم بتفصيل وتمييز الأشياء ، وأصحاب الحسِّ أكثر حفظاً وأقل تمييزاً لقلّة فكرهم .

فصل :- منزلة الخبّ عند العقلاء

وهذا الخَبُّ المخادع عند العقلاء في النقيصة بمنزلة الأبله البليد لخلوّه من إشراق نور العقل ولو كان ذا علم وهيئة، والعاقل معظمّاً مبجّلاً لسلامة قلبه وتنوير باطنه ولو كان قليل العلم .

فصل :- حدُّ العقل

إن العقول لا تفي بنيل المطلوب كلِّه وأقصى غايات العقول الآراء، والعاقل هو الذي يعرف خير الخيرين وشرّ الشرين ويصانع على أحدهما بالآخر إذا ألجئ إليه ، فغاية العاقل مَن ضبط أحواله ضبطاً وقهر هواه قهراً وغايته تقديم دينه على دنياه وله تستبين محاسن الأشياء من مقابحها ، وصحيح الرأي من يعتدل في : أفعاله وأحواله وأقواله فيدور مع الأمور الصحيحة كيفما دارات .

فصل :- العاقل الموفَّق

وهذا العاقل هو الذي يداري هواه مداراة لأنه قلَّ أن يخلو من الهوى عاقل إلا الذين لهم من الله العناية الأكيدة ، فغاية نظر العقلاء بذل الجهد وإعمال الرأي فإذا طمع أحدهم في قلّة الغلط وإصابة الصواب فوَّض أمره إلى الله تعالى بعد إعطاء الأشياء من الرأي والاجتهاد ما تستحقه فعندئذ قوّمه وسدّده وجعل لقلبه بصيرة يرى بها الأشياء المرئية فيرى الباطل باطلاً والحقَّ حقاً.

تشرق أنوار القبول وتظهر آثار الوصول عند :

١. التقرب إلى الله بالصدق .
٢. الانطلاق من أسر الهوى .
٣. التجرد عن علائق النفس .

فصل :- اختلاف الطبائع والجبلاّت

مبنى صنع الله في القلوب الاختلاف والائتلاف والأنسة والتنافر وقد يكون ذلك بلا سبب معلوم، فالناقص ينفر من الفاضل والأحمق يكره العاقل وإذا تعارفت الأنفس توافقت وتصادفت، وإذا تضادّت الجبلاّت في الأخلاق تنافر الشخصان أو أمكن التقارب مداهنة .

ونفرة القلب من شخص ما يدلّ على ما عنده من المقت لك فإن اضطررت إليه فتعمل في صلاح قلبه لك بإصلاح قلبك له كما قال سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه (احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك) .

طريقة استصلاح قلوب الآخرين:-

١. النظر إلى شيء من محاسنهم لأن الإنسان لا يخلو غالباً من مكرمة كالشجاعة والسخاء وغيرهما .
٢. تناسي خصالهم الذميمة.
٣. تهدية سورة النفس تجاههم(فالنفوس تطالع النفوس) .
٤. المداراة وتسكين نفوسهم.

فصل :- مجانبة الكبر

وهو خلق رديء مفسد للقلوب وقد يلتبس بالتعزّز ، فالتعزّز من صفات القلوب والكبر من صفات النفوس فالتعزّز أن يصون الإنسان نفسه عن الأمور التي تشينه في دينه ومرؤته، والكبر شعور قلبي يرى في نفسه الأفضلية ولو ظهر منه صورة التواضع، فكم من فقير يظهر التواضع ونفسه من أنفس الجبابرة كما أن العجب يشتبه بالفرح ، فالعجب من الكبر بأن ينقطع عن رؤية النعم من المنعم ويتوهمها من نفسه، وأما الفرح أن يرى العبد النعم من الله تعالى فيفرح بها ويحمده عليها، ويعترف لربه بما منحه قال الله تعالى {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } .

فصل :- حدُّ الكبر

الكبر خصومة مع الله تعالى وهو الذي لا تنفع معه طاعة .

ومرجع الكبر والتواضع إلى القلب فلا اعتداد بالظواهر فكم من يظهر التواضع وهو من جبابرة المتكبرين ، وكم من انسان له هيئة وأهبة وهو من المتواضعين .

من علامات الكبر :

١.استعظام النفس .

٢.النظر للآخرين بعين الاحتقار .

٣.وعلامته من اللسان قول : أنا أنا .

ومثل المتكبّر : مثل غلام لبس قلنسوة الملك وجلس على سريره ، فيستحق بهذا الفعل ضرب عنقه .

فصل :- حسن الطلب للعلم

من التزم شرائط العلم وآدابه وجد حلاوته واستضاء بنوره فاستثمر جناه في الدنيا والآخرة ، **فاجتنب :**

١. القيل والقال .

٢.قصد افحام الخصم وتلمح عثراته .

٣. تتبع دقائق المسائل وذكرها للعامة .

والتزم :

١. وقار العلم .

٢. السمت الحسن في الأنحاء والمقاصد .

٣. التواضع للمعلِّم .

٤. قرن العلم بالعمل .

فصل : - المنزلة عند الله تعالى

تُعرف منزلتنا عند الله :

١.بمنزلته عندنا .
٢.بشدّة تعلّق السرِّ به .
٣.الاهتمام بمراضيه .
٤.حبّ ما يحب وكره ما يكره
٥.الموالاة لأصحابه وأحبابه.
٦.مجانبة شرار الخلق .

فصل:ـ مفتاح الجنة (لا إله إلا الله)

١. عموم المؤمنين يعلمون من لا إله إلا الله نفي الربوبية عن غيره

٢. السالكون يتحلّون بمعناها ، ويتصفون بحقيقتها .

٣. خصوص العارفين يجعلون لا إله إلا الله نصب أعينهم ذكراً وفكراً ويعملون على معناها وحقيقتها فصحّ لهم مقام التوكل والتفويض والتسليم ولا يعلّقون قلوبهم بالكلية بأحد من الخلق لما يرون في ذلك من الشرك الخفي ، فيستريحون بذلك لأنهم أنزلوا الناس منازلهم فإذا اضطروا إلى أحد أجملوا في الطلب من غير اعتماد عليه.

فإذا حصل اليقين في القلب انفعلت له الأشياء بسرِّ الاسم الأعظم بعد امتلاء القلب هيبة وخشوعاً لما يشاهد من الأنوار الإلهية وبه يظهر تفاوت الأحوال .

فصل :- في حقائق العبادات عند أهل العلم بالله

أهل العلم بالله طريقهم الاهتمام بأسرار الطاعات والأدب في مراعاة ظاهرها بالخشوع والوقار .

أدب الصلاة عندهم :

١. باستشعار أن صلاته كالهدية يتقرب بها إلى الله تعالى.
٢. المراقبة بباطنه لله بيقين أنه يشاهد باطنه كما يشاهد ظاهره.
٣. أن يصرف كلية همِّه إلى الله تعالى .
٤. السكون بعد الصلاة للذكر والدعاء .
٥. المحافظة عليها في أول وقتها .

أصل عبادة الصلاة الذي بها تتفاوت أحوال المصلّين :

١. دوام اتصال القلب بالله تعالى .
٢. جمع الهمِّ .

صوارف دوام الاتصال: الخواطر التي تمر بالقلب ولا ثبات لها .

مراحل الخاطر :

١. الخاطر : وهو ما يمر على القلب ولا ثبات له .
٢. الفكر : اجتماع الخواطر في القلب .
٣. العزم : جمع القلب على الفعل .

علاج الخواطر : المجاهدة في صرف الخاطر بالإعراض عنه في مرحلته الأولى وانشغال المصلي بما هو فيه . قال الإمام الحسن البصري رحمه الله (كلُّ صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع) .

فصل :- حقيقة الصوم

الصوم باب في العبادة وهو أقوى أسباب الإعانة على الطاعات .

مراعاة حدوده وآدابه :

١. الامساك عن كل كلام لا حاجة له لا سيما ما يعظم وزره .
٢. امتياز يوم صومه عن يوم فطره .
٣. دوام ذكر الله تعالى باللسان والقلب .
٤. الاعتكاف في المسجد .
٥. صون السرِّ عن سيء الخطرات .
٦. التقليل من الطعام بعد الإفطار لأن حقيقته تنظيف البدن ليتنوّر القلب .
٧. تحرّي الحلال من الطعمة فذلك أصل عظيم.

فصل : - آداب الدعاء

الدعاء مخ العبادة .

آداب الداعي :

١. الخشوع عند الدعاء .
٢. الذلّة والاستكانة .
٣. حضور القلب والاقبال بالكلية .
٤. تحرّي أوقات الاجابة كوقت السحر .
٥. صحة القصد .

ليحذر الداعي من :

١. الوقوف بين يدي الله تعالى بقلب ساه لاه فذلك سبب المقت .

٢. التزيّن عند الحاضرين بحسن الصوت وذرابة اللسان .

٣. رفع الصوت عن حدِّ الاعتدال والأدب .

٤. إهمال الدعاء أو تركه تغابياً وتغافلاً ، فالمتغافل عن الدعاء مستهدف للبلاء .

شروط إجابة الدعاء:ـ

١. أن يكون الأكل حلالاً .

٢. دوام الدعاء والالحاح به ، وإن كان الأمر مهماً يقدِّم أمامه صدقة حسنة ويتحرّى بها الفقير المستور ذا العيال .

٣. إخفاء الدعاء .

٤. الاكثار من الاستغاثة بالله مع الذلّة ، وأعظم الاسمين للاستغاثة (يا حي يا قيوم ـ يا ذا الجلال والإكرام) .

[خالص الدعاء:ـ الذي لا تعلق له إلا بالله] .

فصل : - أسرار الصدقات في إجابة الدعوات

أقرب الطرق لإجابة الدعاء وقضاء الحوائج:-

١. هي طريقة الفِداء بأن يصنع كمثل ما يصنعه لنفسه من الطعام أو أطيب ويجمع عليه الفقراء الأخيار المنكسرين رجال السرِّ والصلاح أو يهديه لهم ويلتمس منهم الدعاء فلذلك تأثيراً عظيماً مجرّباً .

٢. طريقة رجال الحقِّ في النوازل وهي خروج الإنسان عن أعزِّ ما يملك وأنفس ما عنده لله تعالى (بأن يعطيه لله أو يبيعه ويصرف ثمنه إلى الأخيار الفقراء أهل العفاف والصيانة) فقلّ أن يفوته المطلوب .

آداب و شروط الصدقة:-

١. أن تكون من وجه حلال .
٢. أن يسرَّ بها .
٣. أن لا يعاود ذكرها للفقير ولا لأحد .
٤. أن يحمل الصدقة بنفسه .
٥. أن يدعو للفقير إذا دعا له حتى لا يبقى بلا أجر .
٦. أن يتصدّق بأطيب ما عنده .
٧. الحذر من الترفع والعلو .

فائدة: [قال العارفون تحسين الأعمال أحب إلى الله من تكثير الأعمال].

فصل:ـ المرؤة من محاسن الأعمال

المرؤة طريقة حسنة يحبّها الله تعالى ومراعاتها بمجاهدة النفس والتخلق بأخلاق ذوي المرؤات، وهي شعار الصالحين فإنّ الله كريم يحبّ الكرم ويكره اللؤم ودناءة النفس ، ويجب أن يكون عمل العبد خالصاً فيتميّز ما يعطيه لله أو مرؤة .

فصل : الخروج من الشُحِّ

أصل الشحِّ نابع من العلو والتجبر بالمال .

لوازم الشُحّ :

١. ضعف العقل : لعدم صحة التمييز والنظر في العواقب .
٢. قسوة القلب : فلا يكاد ينفك عنه قسوة القلب وتعاليه على ضعفاء الناس .
٣. سوء الظن بالله : لأنه لا يثق بربِّه أنه إذا أخرج شيئاً يعوِّضه الله عنه .
٤. ليس للشحيح ساعة أنس يصفو قلبه مع ربه .
٥. سوء الظن بالناس .
٦. يتنكّر للإخوان ويفرّ منهم خوفاً أن يطلبوا منه شيئاً .

كيفية الخروج من الشُحِّ :

١. التعرّف على ما فيه من المذام لينبعث الإنسان على نفسه فيتركه .
٢. استذكار ما في المرؤات من المحاسن في الدنيا والأجر الجزيل في الآخرة .
٣. مجاهدة النفس بالبذل والتشبه بذوي المروءات .

حفظ النفس من الشحِّ :

١. بمواساة أهل الشدّة .
٢. ببذل المستطاع للإخوان .
٣. بتعهد الجيران .

الفرق بين الشحيح واللئيم :

الشحيح الذي يصعب عليه البذل وقد لا يكره وصول الخير إلى أحد. أما اللئيم فأسوأ حالاً منه فإنه مع شحِّه يكون كارهاً لوصول الخيرات إلى أحد وربما لو قدر على منع وصولها لفعل ، لما غلب عليه من الطباع الشيطانية المهلكة .

فصل:ـ رؤية العبد لنفسه :

أن يراها فقيرة بعين الحقيقية فيرضى بالدون من المجالس ويحمل حاجته ويساعد الآخرين ، ويقصر نظره عن الرئاسة والترفع عن الناس ، ولا يقصد بشيء من أعماله غير الله ، ويراعي سمته وهيئته في مشيته ومحاورته وسائر أحواله ويلزم الوقار والسكينة ، وليكن رحيماً خمولاً مدارياً هشّاً بشّاً قال سيدنا علي كرّم الله وجهه ورضي عنه (البشاشة حبالة المودة، والاحتمال قبر العيوب) .

فصل:ـ من أخلاق أولي العزم

الصبر: لأنه قلَّ أن يفوت العبد أذى الناس وليكن حليماً صفوحاً ، **فعليه :**

١. أن لا يجازي مسيئاً بإسأته فتفوته فضيلة الإحسان .

٢. يستصلح أعداءه ببدئهم بالسلام والإحسان إليهم وليقدِّم لهم الهدَّية .
٣. لا يضمر لأحد سوء ولو عدوَّه ، فإنه في الدنيا يتعبه بفتح أبواب الشرور وفي الآخرة بطول الحساب، قال الإمام علي كرّم الله وجهه ورضي عنه (الحلم فدام السفيه).
٤. يطهِّر قلبه من الغلِّ والحقد .
٥. أن يحضر في ذهنه أنّه إذا غلب خصمه فما الحاصل والجدوى من ذلك ؟ إلاّ هوى لا حاصل له .
٦. التأدب بما تقدّم ذكره في هذا الكتاب .

فصل:ـ الغضب

الغضب أعظم أبواب الإثم، وساعته ساعة بلوى يتمكن فيها الشيطان من العبد يبتغي زلته وغوايته **فليتنبه لها :**

١. بحفظ يده ولسانه .
٢. بكظم غيظه جهده .
٣. بتذكّر ساعة الوقوف بين يدي الله، قال الإمام علي كرّم الله وجهه ورضي عنه (الحلم عند الغضب يؤمنك غضب الجبار) .
٤. أن لا يقول ولا يفعل شيئاً يندم عليه .
٥. إذا كان ذا سلطان فليتثبت ولا يعجل بالانتقام .

فصل : - في الاستيقاظ في سائر الأحوال

وخصوصاً ما يصدر من اللسان :

١. من كثرة الأيمان وإبرام العقود والوعود، فإنّ الكلام كالسهم يفرط فيورث الندم ، وإنّ البلاء موكل بالمنطق .
٢. مجانبة الغيبة فإنها تصنع بصاحبها عواقب السوء .
٣. الحذر من النميمة فإنها شأن المرذولين وأصل العداوة .
٤. اجتناب الكذب فإنه لا يصدر إلا ممن هانت نفسه عليه .
٥. الحذر من التعيير بالبلاء فترمى بمثله .
٦. الحذر من السخرية والضحك بالناس لا سيما المستورين أصحاب النفوس العزيزة فعاقبتها الحزن .
٧. عدم المبالغة في الفرح فيسرع الغم .
٨. ومن كسر القلوب فهي حالة مخوفة .
٩. ستر عيوب وزلل الآخرين .
١٠. مجانبة العجب والاختيال .

لطيفة:ـ إذا نظر الإنسان بعين الحقيقة والتفت إلى الآخرة هان عليه ما يصعب على أبناء الدنيا، فتنزّه عن الحقد والحسد لانهما لا يصدران إلاّ من لئيم طبع ، فلو زالت النعمة التي يحسدها ماذا يجدي عليه ؟ فمن لازمَ الخير إظهاراً وإضماراً وجانب الشرور من كلِّ جهة وطريق بلغ غايةً يقارب بها الملَكَ ، ومن ساءت أخلاقه وتنازل به الحال صار كالشيطان المريد .

فصل : - قلَّ أن يجتمع للإنسان الدنيا والآخرة

الابتلاء عام يشمل الخليقة فأصعبه بلاء الدين وبلاء العقل ، **فينتج عنه :**

١. التخبط .
٢. سوء النظر .
٣. كثرة الغلط .
٤. فساد الحال .

و أما بلاء النفس فيتولد منه الشحّ والمعاصي والتهالك على الدنيا.

وأما البلاء في أمور الدنيا فهو أكثر ما يبتلى به الأخيار ، **فحالهم مع ذلك :**

١. تفويض الأمر لله تعالى لعلمهم أنهم بعين الله منظورين .
٢. يصبرون ولا يتبرّمون من ضيق الأحوال .
٣. لا يقنطون من إبطاء الرزق .
٤. عاملوا الله بالصدقة فإن العوض لا يكاد يتأخر وقد جربه أرباب المعاملة .

سئل الكتاني لم حُرم الفقراء رفد الأغنياء ؟ **فقال لأمور ثلاثة :**

١. أحدها خبث الأموال .
٢. والثاني قلّة توفيق الأغنياء .
٣. والثالث أن الفقراء مرادون بالبلاء .

فصل: - معرفة مقدار الإيمان

لا يعتبرن ذلك بظواهر الأعمال فإنّ الأعمال يعملها البر والفاجر وإنما الاعتبار بمتعلقات القلب **فمنها** :

١. الحب في الله والبغض في الله .
٢. الاستقامة بتلمّح ميلان القلب إلى الخير بالكلية والنفرة عن الشرِّ جملة .
٣. ملازمة حدود الشرع .
٤. أن يثبت في قلبه أنه لو قدر على إزالة أنواع الفساد في الأرض لأزالها .
٥. صحة الأمانة في معاملة الناس .
٦. مولاة أهل الخير وإن خملوا، وأما المفتون من والى أهل الدنيا من الظلمة لكثرة أتباعهم من البطالين وإن ادعى الزهد فاجتهِد أن لا تدانيه فإنّه من قطّاع الطريق على العباد .

فصل :- تأثير الأعمال في القلوب

من صلاة وصوم ونحوها ، **فلا تؤثِّر إلا :**

١. في القلوب الليِّنة الخيِّرة ، وأما أهل القلوب القاسية ربما أدتهم للعجب بأنفسهم .
٢. إذا خلت القلوب عن الكبر وتواضعت لله .
٣. بمكاثرة ضعفاء الخلق .

فصل:ـ الفرق بين المحاسنة والنفاق

المحاسنة دليل العقل وهي شأن أهل الفهم يلاقون الناس بالحسن فيعاملونهم بظواهر أحوالهم فلا يتجسسون عليهم ولا ينقِّبون على أحوالهم ، والمحاسنة طريق يستدفع بها شرور الناس ، فلا يبالغ فيها ولا يكيدهم في الباطن بإضمار السوء ويلقاهم بالحسنى لأن هذا نوع نفاق .

فصل :- الفرق بين لذّة القلب ولذّة النفس

حقيقة اللّذة لأرباب القلوب لأنهم يرتاحون بالخيرات ويأنسون بالبواطن ويتنزّهون في الأفكار الحسنة ، **وعلاماتهم :**

١. طلب الأماكن الخالية لا سيما أماكن الاعتبار .
٢. القناعة باليسير .
٣. غناهم في قلوبهم ولو كانت أيديهم صفراً من المال .
٤. كثرة الشكر ولو على القليل .

وأما لذّة أرباب النفوس صعبة متعبة ، **وهي في :**

١. التكثر في الأموال جمعاً ومنعاً .
٢. التشفِّي من الأضداد .
٣. اقتحام الشهوات .

علاماتهم :

١. ضيق الصدر .
٢. سوء الأخلاق .
٣. كثرة الهموم .

٤. أبدانهم مكدودة .
٥. قلوبهم مشغولة .
٦. مطالبهم من الدنيا بعيدة لا تدرك .
٧. المغالاة في الأمور الدنيوية كالملابس وزخرفة الدور .

ما يعين على تحصيل لذّة القلوب وصلاح الأزمان :

١. طيبة القلوب .
٢. مشاهدة الفضلاء النبلاء .
٣. ملازمة الصدق في المقاصد .
٤. التنافس في العمل بمحاسن السنن . فحيث عدم ذلك أضطر الناس إلى الراحة بالأمور النفسانية المهينة المتعبة .

فصل :- علامات أقويا الرجال وضعفاءهم

اللّذات المفرطة تحرِّك نارية النفوس ويصير صاحبها كالولهان، فالعقلاء يتنزّهون عن هذه النقيصة ويرغبون عنها ويتخلّصون من استعباد الشهوة فتكون شهواتهم طوعهم قال سيدّنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه (العاقل عدوّ لذّته والجاهل عبد شهوته)

فشيمة العقلاء الأقوياء :

١. الميل إلى الحقّ .
٢. الالتذاذ بالأمور الصحيحة .
٣. يتألمون من الباطل وتأباه أنفسهم .

وأما أرقّاء النفوس فابتلوا :

١. بالجمع والمنع .
٢. لا يقدرون أن يصبِّروا أنفسهم عن أحقر شيء من ملاذ الدنيا.
٣. يميلون إلى الأباطيل والأشياء التي لا حاصل لها .
٤. لا همّة لهم في طلب شيء له حقيقة .
٥. ينقادون إلى الأمور المستقبحة غلبة كالكذب وسلب التمييز فينفذون ما تأمرهم به نفوسهم .

والسبب في ذلك :

١. موت القلوب وظلمتها .
٢. ضعف النفوس وسخافتها .

فصل:- في محاسبة النفس

العاقل لايزال يطلب الإصلاح لنفسه ويجتهد في تقليل عيوبها وذلك عندما ينجلي الرين عن القلب وتصحو النفس من سكر الهوى . والعاقل من كثرة فضائله يغبطه الناس على ما فيه من الصفات الحسنة، وهو مستصغر لحاله ذام لنفسه ، متألماً لنظره في العواقب وذلك من توفيق الله تعالى، ويقوى توفيق هذا العبد ليرتقي إلى المرتبة العلياء مراتب رجال الحق تعالى بأن لا يزال مراقباً لجلال الربوبية، مديماً للذكر مراعياً لقلبه مما يدنسه.

وأما سيء الأعمال فيغفل عن نفسه فقد يسامحها في شيء من الذنوب وإن قلَّ فيدربه ذلك إلى ما هو أكبر منه لأن هذه الشرور متلازمة

ويجرُّ بعضها بعضاً ، فيصير متمرداً مجاهراً بالمعاصي حيث سلط عليه الهوى فعمي قلبه وفسد حاله والعياذ بالله. فالنفس بليّة داخل الإنسان فإن فطن لها كان طالب حق وإن تركها ألقته في المهالك فإنّ شمول الغفلة وسكر الهوى يمنعان العقل أن يعترض على النفس فإذ ذاك تتمكن النفس ويتسلط الشيطان وينقاد لزمام الهوى، فالصالحون إذا أحسوا بتغير شيء من أخلاقهم سارعوا إلى علاجه ، فإنّ ذلك مسلك الأبطال.

فصل : - أخلاق النفس ونقصها

العبد مبتلى بنفسه التي بين جنبيه ، **فطالب الحقِّ :**

١. يتفطّن لشرِّها .
٢. يعرف نقص جبلّتها .
٣. يدأب في إصلاحها ، فمتى أحسَّ بتغيِّر شيء من أخلاقه سارع إلى علاجه بما يناسب ذلك الداخل عليه .

والغافل :

١. يتركها وأمراضها فتلقيه في المهالك ، كمن تنفر نفسه من أشياء لا ضرر منها وهو يعلم ذلك بعقله ، وهذا من ضعف نفسه ونقص جبلّتها في أصل الخليقة .
٢. يحب التسلّط ويقتحم لأجل ذلك الأخطار ويتحمّل الأوزار.

فصل :- في بيان حسن الخلق

هو من صفات الرجال وذلك لطيب أنفسهم بما منحهم مولاهم فإذا طابت النفوس تتنوّر البواطن وتنشرح الصدور، وحسن الخلق طلاقة الوجه الرضي التي يمدّه صلاح القلب فتظهر منه الأفعال الجميلة .

ومن خرب باطنه :

١. نسي المولى تعالى .
٢. يستولي عليه الضجر والملال والهموم .
٣. تشبَّث بالأمور المتعِبة التي تعجزه .
٤. استروح بالعبث ، وكل ذلك يفعله الإنسان استقالة من الفكر في أحوال نفسه .

فصل:- منزلة العلم والعلماء

لا تأخذ من العلوم إلا ما أكسبك خلقاً حميداً أو أرشدك إلى عمل صالح وما عداه ضياع وقت وشغل بما لا يجدي وربما ضرَّ . ومنزلة العلم في الدنيا كمنزلة المال والجاه فإن صادف نفساً ضئيلة صغيرة أكسبها طيشاً ورعونة ، وإذا صادف نفساً شريفة قويّة أكسبها فضيلة وجلالة ، كالريح الشديدة إذا صادفت ريشاً طارت به ، ولا تؤثِّر في الجبال الرواسي.

فالعالم العاقل :

١. يحفظ وقته .
٢. يحكم أموره بالفكرة الصالحة .
٣. يقدِّر الأمر قبل وقوعه فيه .
٤. لا يهمل النظر في عاقبته .

فصل:ـ الاقتصاد ومجانبة الإفراط

كل شيء إذا اقتصد فيه وقع الموقع الحسن وإذا أفرط فيه أو قصر الأنسان فيما يستحقّه صار إلى حدِّ النقص ، وطريق ذوي المعرفة مجانبة الهوى لأن الإفراطات كلها مرجعها الهوى . فالخيرات مع الإفراط سبب انقلابها للضد ، لما يعتري النفس من نوع عجب لتُرى بعين العلو بين الناس . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعثت بالحنيفية السهلة السمحة) وهذه طريقة العقلاء ذوي الإفهام وهي الطريقة الوسطى، فالكره مع الإفراط بغضا ومقتاً، والمحبة مع الإفراط هوىً ملزم للشغف والطيش فتنشأ حالة تشبه السكر تمنعه صحة الرأي والتمييز.

فصل:ـ شغل النفس

النفس إن أهملت مالت إلى الأباطيل ، فيدخلها في طريق الخيرات برفق ومداراة بلا تعنيف وإلاّ نفرت وشردت، ولا يضيِّق عليها بالكلية بل يسامحها في نيل شيء من الراحات المباحة ليعينها على احتمال أفعال العبادات .

فصل:ـ آداب الذكر

الذكر عبادة جليلة مأمور بها وهو شعار الصالحين وعمدة السالكين .

من آدابه وشروطه :

١. الوقار والسكينة حال الذكر .

٢. حضور القلب ومواطأة القلب اللسان بأن يتصوّر معنى لفظ الكلمة

٣. حسن نطق اللفظ بثبات وتؤدة واعتبار .
٤. أن تكون كلية الذاكر إلى المذكور جلّت عظمته ، فإن سبَّح الله أشعر القلب بمعنى التنزيه لله .

أعلى أحوال الذكر : أن تستغرق الذاكر هيبة المذكور فيغفل عما سواه ولا يلتفت إلاّ إليه.

فصل : - مقاربة حال التمام وقرب الفتح الأكبر

علامته : الميل إلى الخمول وإيثار العزلة استئناساً بسرِّه وابتهاجاً بما منح من عمارة قلبه وطلباً للسلامة من الفتن والإعانة على الخيرات ، فكما يستطيب الغافل الشهرة والرئاسة فالعارف يستطيب الخمول .

فصل:ـ معرفة الحقِّ

بصحة الرأي وإثبات الفضيلة لأهلها إذا رآهم مائلين إلى الحقِّ فلما سبق من معرفته للحق عرف أهل الحق ، والجاهل لا يعرف الحق ولا يثبته إلاّ إذا كثرت الجموع وهذا عين الجهل ، فيحكم الجاهل على أنّ الأمر حقّ بما قال فلان ممن ساء تمييزه وفسد تصوره واشتهر عند العامة وهو بخلاف ذلك .

فصل:ـ في الشكر

هو نوع من التوحيد يحسن موقعه من العبد ، وهو الاعتراف لله تعالى بالنعمة وحمده تعالى عليها وهو قيد النعم يؤذن لصاحبه بالمزيد لما قال تعالى { لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ } فإنّ إهمال الشكر خطيئة لأن الشكر ثمن النعم ، ويختلف الشكر باختلاف أحوال العِباد ، فشكر

الفقراء الإكثار من الحمد ، وشكر الأغنياء مساعدة المستضعفين والمحتاجين وشكر العبّاد إدامة الخضوع والسجود .

والتفكر في النعمة سبيل الشكر فيوصل العبد إلى الوقوف على معرفة رأفة الله بالعباد الذي سخَّر لهم كل شيء في الوجود مرتباً على الإتقان والحكمة، والشكر في الأزمان الصعبة في السعي للمحاويج وتخليص المظلومين من أيدي الظالمين .

فصل:ـ حفظ القلب من الخواطر

قلب السالك بيت ماله وعمدة حاله فمتى خطر السيء بادر بإزالته وإلا ثبت واستحكم وتولدت مضارّه فالحذر أن يطّلع الرب من القلب على ما لا يليق كقبح أو فحش أو اضمار سوء أو عزم على أمر يكرهه منه مولاه فيتعرّض بذلك للعقوبة الخفيّة كم قال بعض العارفين (يا أصحاب الذنوب الخفية احذروا العقوبة الخفيّة) فإنّ للرب تعالى إلى القلوب نظرات .

فصل:ـ في الثبات

الإنسان الفطن لقوَّة فهمه لا يتخالجه ريب في أمور فيقدم على الخيرات وإن كان وحيداً لمعرفة سرِّ الله في خليقته أنّ أهل الخير قليل وأنّ باب التوفيق ضيّق قليل أهله وقد أجرى الله تعالى عادته بذلك في بريّته هكذا .

فمن عرف سرَّ الله في خليقته :

١. لم تمنعه قلة الخيرات من حسن المعاملة .
٢. يكون هامّاً ذا عزمة .
٣. يكون في طلب الآخرة الجليلة .

فصل:ـ لمن ابتلي بكثرة الأموال ووفور الأعراض

إذا أردت نجاح المساعي وحسن العواقب ، **فعليك:ـ**

١. بحسن المصانعة ببذل اليسير ليبقى الكثير.
٢. عند الخوف من ورود أمر عليك باسترضاء الله بالتقرب لخواصه من الصالحين والزهاد والعبّاد جبراً لقلوبهم وتفريجاً لصغارهم .
٣. احذر مخاصمة خواص الملك الأبرار الأخيار الأتقياء الأخفياء الرثّة أحوالهم الشعثة هيئاتهم فتخاطر بنفسك لأن الله هو المنتصر لهم.

واعلم أنك أحد رجلين:ـ

١. إما أن تكون قريب الحال من الخير تتعلّق بك عناية من ربك تبارك وتعالى فربما أدّبك بشيء من البلوى لتتعلّق به لأنّ من عادته تعالى إذا أهمل أصحابُهُ أيقظهم عند الإهمال .
٢. إما أن تكون بعيداً فتتمادى في غيِّك فربما سلمت لك الأمور ، فالبعداء العناية عنهم مقُصرة والعقوبة متأجّله .

وأقرب الأشياء التي يسترضى بها الرب تعالى وتستدفع بها البليات (التفطّن والتفقّد لأحوال المساكين المستضعفين) ، **فمن كان حاله كذلك :**

١. لا يخيب ما أمّله .

٢. يلقى الجزيل في العاجل والآجل .

٣. يذكره الله في شدَّته ويغيثه .

قاعدة :ـ فساد الأحوال من سوء الأعمال وسوء الأعمال من عمى القلب وعمى القلب من ارتفاع عناية الرب تعالى عن العبد .

فصل :- حقيقة حال الإنسان

حقيقة الانسان الذلّ والمسكنة فالأبدان ضعيفة معرّضة للأسقام والآلام ، وفي حال الصحة تحتاج إلى محاويج كثيرة والعاقبة لها الموت فمن أين للإنسان التكبّر والتجبّر والمنازعة لصفات الربوبية، وللإنسان الاجتهاد في تكميل إنسانيته على الحقيقة بصون نفسه ومراعاة مرؤته فيجانب أخلاق الشياطين كالإضرار بالناس ويجانب أخلاق البهائم من التهالك في نيل الشهوات فيقوم بين يدي الله تعالى مقام صريح العبودية .

فصل :- جماع أمر الاستقامة

الاستقامة مطلوب القوم لأن العبد يعتني بإصلاح باطنه ، وهي وضع كل شيء من أخلاقه في موضعه ويعطي كلاًّ منها ما يستحقه بالنظر الصحيح والبصيرة الثاقبة .

لا يصلح للحقِّ تعالى إلاّ :

١. طاهر الباطن .

٢. زكي الأخلاق .

٣. كريم السجايا .

من رام دوام الإقبال على الله تعالى واستقامة القلب فذلك :

١. بعدله عن الزيغ .
٢. تطهيره من الأخلاق المذمومة .
٣. ينقيه من دنس الأهواء .
٤. يصنه عن الخطرات والوساوس الباطلة .
٥. ليكثر من الأعمال الظاهرة من صلاة وصيام وذكر ولتكن أعماله منوطة بقلبه لأن الفروع لا تثبت إلاّ باتصالها بالأصول.

حقيقة الاستقامة:-

١. التوجّه بالكلية باطناً وظاهراً إلى الله تعالى كما يتوجه بوجهه للقبلة .
٢. دوام المراقبة .
٣. صرف الهمّ والهمّة بالجملة لله تعالى .
٤. يجتهد أن لا يغفل عن ربِّه طرفة عين .
٥. دوام الذكر تقديساً وتحميداً وثناءً على الرب .
٦. مداومة التفكر في آلاء الله تعالى .
٧. التعويل على باطنه وليعتبر بما يشاهد بقلبه اعتباراً وتفكراً .

فصل: - حال من وردت عليه هذه العلوم

١. أن يقتفي معانيها .
٢. يتأدب بآدابها .
٣. يفكِّر في غوامضها .
٤. يسمو بنفسه إلى معاملة الربِّ بما ورد في هذا الكتاب .

٥. التنبّه مما ورد التحذير منه في هذا الكتاب .

٦. تحسين الأعمال وتزينها .

ينتج عن ذلك :

١. ورود الفتوح من كل جانب .

٢. مشاهدة أسرار الملكوت .

٣. يفرّ منك الشيطان لما يشرق عليك من أنوار الحقِّ .

وبعد استقامت الأحوال وإحكام الأعمال فعند ذلك سل ربك التثبيت ودوام الهداية فلا تأمن من سوء العواقب وزلل الأقدام وقدِّم الحذر ولا تغترن بشيء من ذلك .

فصل : - في الأعمال والأذكار التي يهتم بها السالك

الأعمال إذا أجيد ترتيبها وروعي تحسينها تصير كالبناء إحكاماً وتناسباً، ونتيجة إحسان العمل أن يذيقك الله لذة المعاملة .

واجهد أن لا يخلو كل يوم من أيامك عن تلاوة القرآن الكريم لأنه من أجلِّ معاملات العارفين ، وقراءة ما ورد من سور في أوقات مخصوصة كياسين والواقعة وتبارك . واستكثر من الباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ففيها الأجر الكثير والأثر الكبير، وبقية الأذكار الوارد الحث عليها في اليوم والليلة.

ولا تترك دعاء الاستخارة وهو عادة المتسلِّكين بعد صلاة الضحى ، والحرص على عمارة ما بين العشاءين وقيام الليل بعد النصف الأخير منه وتختم الأذكار بأسماء الله الحسنى ، كما تختم النهار بالاستغفار ومحاسبة النفس .

الفصل الأخير: - أخبار وآثار منتقاة لسالكي طريق الآخرة

فمن ذلك :

١. ما روى أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ((لا أجر لمن لا خشية له ، ولا عمل لمن لا نية له)) .

٢. عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وآله وسلّم ((لا يستكمل العبد الايمان حتى يحسِّن خلُقه ، ولا يشفي غيظه ، وأن يودَّ للناس ما يودَّ لنفسه ، لقد دخل الجنّة رجال بغير أعمال ، قيل : فبم دخلوها يا رسول الله ؟ قال : بالنصيحة لأهل الإسلام وسلامة الصدور)) .

٣. عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : (أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلّم : إذا صنعت مرقةً فأكثر ماءها ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف) .

مقابلة مثل هذه الأخبار :

١- بهمَّة العمل .

٢- الصدق والنصيحة للآخرين .

٣- بالتقرّب إلى المولى تبارك وتعالى بمحاسن مراضيه .

فمن عمل بذلك :

١. تفتح له أبواب الخيور .

٢. يذق لذّة المعاملة .

٣. يتولّى الله تقويمه وتسديده .

والحمد لله رب العالمين إنّه وليُّ عباده الصالحين ، وأوليائه المقرّبين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلّم تسليماً كثيراً طيباً مباركاً إلى يوم الدين .

الفهـــرس